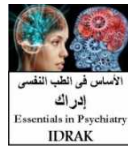


1657 - الأساس: الكتاب الأول: الافتراضات الأساسية (58)



الإدراك (19)

نتعرف على علم الإدراك من نقيضه  
علم الكلام

كما يوجد علم اسمه علم الإدراك يوجد علم اسمه علم الكلام، وهو علم قديم عريق قوى راسخ، قد يكون الاسم غريباً على الأجيال الأحدث التي لم تدرس أياً من علوم أصول الدين (الإسلامي)، أو علوم التوحيد، لكنه علم قد أخذ حقه وزيادة في الطرح والرد والنقد والهجوم والدفاع، وذلك عبر فترة طويلة من تاريخ الإسلام، فتأكد الاسم جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، حتى أن نقاده المحدثون أسموا إضافاتهم ونقدمهم بنفس الاسم مع إضافة صفة "الجديد"، ليصبح "علم الكلام الجديد" (مثل: **رؤى في الكلام الجديد**: **عبد الكريم سروش نموذجاً**)، في رأيي أن عمر علم الكلام قد امتد أكثر كثيراً من عمره الافتراضي، حتى أصبح معوقاً لتطوره أصلاً، ومع ذلك فقد رأيت في تحديث نقده ما يوضح لنا بعض ابعاد ما يعنيه فتح ملف "علم الإدراك" على مصراعيه هكذا بما يصل به إلى ثورة كاملة في تحديث علاقتنا بعملية المعرفة بالمعنى الأوسع الذي يصحح لنا منهج معرفة الله عز وجل.

علم الإدراك كما نحاول أن نتعرف عليه، توثيقاً لما نمارسه من العلاج عامة، والعلاج الجمعي خاصة، هو عكس علم الكلام تماماً، وقد نبهت إلى ذلك باكراً، خاصة في كتابي "في فقه العلاقات البشرية" الذي نشر هنا تباعاً، والذي هو شرح ديواني "أغوار النفس".

وقد تكرر أن شجبنا وصاية الكلام على المعنى، وعلى العواطف، وفي النشرة الأخيرة في ملف الإدراك الأسبوع الماضي (**علاقة الإدراك بالوجدان**) أظهرنا واستشهدنا كيف يمكن أن تختنق العاطفة داخل لفظه... إلخ .

دعوني أعتز بصراحة أنني ما سمحت لنفسي بالاستدراك إلى كل هذه التفاصيل إلا للتحقق من أبعاد ما أمارس، وللتأكيد على الاختلاف النوعي لثقافتنا العربية، أو

الاختلاف النوعي لثقافتنا العربية، أو الشرقية، أو الإيمانية، أو سمها كما شئت، مرة أخرى: ليس اختلاف التباهد، أو ادعاء التمييز، وإنما اختلاف الأمل فك الإضافة للتكامل

وحين اكتشفت أنه يستحيل إثبات هذا الوجود بالتفكير، كما يستحيل نفيه كذلك، تيقنت أن منهج "علم الكلام" خطأ كله، ثم لاح لهذا هذا الطريق الآخر لمعرفة أحوال وهو طريق الإدراك

الشرقية، أو الإيمانية، أو سماها كما شئت، مرة أخرى: ليس اختلاف التباهي، أو ادعاء التمييز، وإنما اختلاف الآمل في الإضافة للتكامل.

إن وجود الله سبحانه كموضوع جوهري في ثقافة مجموعة من البشر ليس أمراً ثانوياً، أو اختياراً تكملياً، أو ممارسة سرية، إنه جدير بأن يغير نوعية الحياة فعلاً كما أشرت مراراً، وذلك بعيداً عن الترهيب أو الترغيب، أو حتى التأجيل، وحين اكتشفت أنه يستحيل إثبات هذا الوجود بالتفكير، كما يستحيل نفيه كذلك، تيقنت أن منهج "علم الكلام" خطأ كله، ثم لاح لي هذا الطريق الآخر لمعرفة أخرى، وهو طريق الإدراك، وقيل أن أنتقل بسذاجة الاختزال إلى موضوع البداية وهو عرض اضطرابات الإدراك (أعراض اضطراب وظيفة الإدراك)، وجدنتي أمام القضية الأساسية حول نوعية الحياة، وضرورة تأنيس الوجود البشري بالتعمق في ماهية وجوده الممتد إلى خالقه الحاضر طول الوقت في حاضر مائل إلى غيب متاح، ومع التماهي في كشف أبعاد الإدراك وجدنا أنفسنا في مواجهة الوصاية، والاحتكار، والاحتناق، مواجهة كل ذلك بما هو مفيد في حدوده، لكنه أبداً ليس بديلاً عما وراءه، ولا هو غاية في ذاته ومن ذلك "الكلام"

هذا العلم الذي اسمه "علم الكلام"، يكاد يكون المثال الأكمل كما يرفضه "علم الإدراك" كما تقدمه.

رجعت إلى تاريخ علم الكلام، وقصائد المديح التي قيلت فيه، وموسوعات النقد التي تناولته، ووجدت أنه يستحيل تقديم ولو موجز الموجز لأي من ذلك، لكن الخلاصة كانت هي البداية، بمعنى أننا لن نعطي لدراسة الإدراك، من واقع الحال، ومن كدح الإيمان، ما يستحقه، إلا إذا وصل إلى علمنا كيف أعيق تماماً، حتى لو كان ذلك بحسن نية، أن يأخذ حقه في أداء وظيفته نحو معرفة الله، وأيضاً أعاقونا تماماً حين قدموا لنا أدلة عقلية، مع أنها هي هي العائق للوصول إلى المعرفة الضرورية الأشمل، تماماً مثلما آل إليه ما يسمى "العلم" عامة، قبل الأربعة عقود الأخيرة تقريبا، حين انقلب إلى أيديولوجيا مقدسة، ثم دينا جائثا يحول دون حركية المعرفة، لكن بما أن أي مما لا ينفع لا يمكث، فقد بدأ نقد "الدين العلم" بالعلوم الكمومية الأحدث فالأحدث، وخاصة من خلال العلوم الكمومية، كما أن الأوان لنقد علم الكلام، ورفضه، لنحقق بدونه، بل بعكسه، ما كان يأمل في تحقيقه. وفيما يلي مقتطفات محدودة تدعم فرض هذه النشرة وهو أن علم الكلام هذا هو عكس علم الإدراك، وأنه إذا كان الإدراك الجدلي التكاملي هو السبيل إلى معرفة الله، وليس العقل الظاهر، ولا المنطق المحكم، ولا الدليل السببي، فإن علم الكلام هو الذي أعاق كل هذا، بتقديس عكس كل هذا.

#### المقتطفات، وبعض التعليقات المحدودة

أننا لن نعطي  
لدراسة الإدراك، من  
واقع الحال، ومن  
كدح الإيمان، ما  
يستحقه، إلا إذا وصل  
إلى علمنا كيف  
أعيق تماماً، حتى لو  
كان ذلك بحسن  
نية، أن يأخذ حقه  
فد أداء وظيفته  
نحو معرفة الله

أن علم الكلام هذا  
هو عكس علم  
الإدراك، وأنه إذا  
كان الإدراك  
الجدلي التكامل  
هو السبيل إلى  
معرفة الله، وليس  
العقل الظاهر، ولا  
المنطق المحكم، ولا  
الدليل السببي، فإن  
علم الكلام هو  
الذي أعاق كل  
هذا، بتقديس  
عكس كل هذا

**مدخل: تعريف محدود**

علم الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية  
 وقال عضد الدين الإيجي المتوفى سنة 756 هـ:  
 هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه  
 وقد عرفه الفارابي أيضاً بأنه: ملكة أو صناعة يقتدر بها الإنسان على نصره الآراء  
والأفعال التي صرح بها واضع الملة (الدين) وتزييف كل ما خالفها بالأقوال.  
 ويبحث علم الكلام في الأدلة اليقينية المتعلقة بالعقائد الإسلامية ،  
 وهذه الأدلة مبناها العقل المستند إلى المنطق أساساً ،  
 ويُعرف هذا العلم أيضاً بعلم التوحيد وعلم العقائد وعلم أصول الدين ،  
**التعقيب:** فهي - إذن - مبارزة عقلانية بالعقل الأحدث،  
 والمنطق الظاهر، الأرسطي غالباً، مبارزة تعتمد على الحجج ونصرة  
 آراء معينة، وتزييف ما هو ضدها ، وهذا أبعد ما يكون ، حتى  
 الضد، عن آليات ومستويات الإدراك التي وردت فيما سبق من  
 حلقات، بما في ذلك "المعرفة الهشة"، والفهم بالوجدان وقدرة  
 العواطف على اعتمال المعلومات Information Processing .. الخ

**من أين الاسم؟: "علم الكلام"؟**

تعددت أسباب تسمية هذا العلم بهذا الاسم، منها:

1. أنه أشهر المباحث الكلامية وأكثرها نزاعاً بين الباحثين في المسائل الاعتقادية وهي مسألة "كلام الله"  
**التعقيب:** وماذا لو وصلنا كلام الله باعتباره "وعياً خالصاً" يتجلى في كلمات هادية ملهمة، هل نحتاج إلى دليل أو حتى إلى كلام ثانٍ  
 2. أنه لا يتم تحقيقه في النفس غالباً إلا بالكلام.  
**التعقيب:** وهل يحقق الكلام في النفس شيئاً يذكر بالقياس إلى التجربة والمعاشية وإعادة تشكيل الوعي في "هنا والآن"؟ بكل ما وهبنا الله من قنوات تواصل؟  
 3. أنه يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات وإلزام الخصوم.  
**التعقيب:** هل المطلوب هو إلزام الخصوم، أم معرفة الله؟

ويبحث علم الكلام في الأدلة اليقينية المتعلقة بالعقائد الإسلامية ، وهذه الأدلة مبناها العقل المستند إلى المنطق أساساً ، ويُعرف أيضاً بعلم التوحيد وعلم العقائد وعلم أصول الدين

وماذا لو وصلنا كلام الله باعتباره "وعياً خالصاً" يتجلى في كلمات هادية ملهمة، هل نحتاج إلى دليل أو حتى إلى كلام ثانٍ

ثم ما فائدة تنمية القدرة على الكلام بديلا عن التركيز على المعنى، وليكن الكلام أحد وسائل ذلك.  
4. وقيل أيضا: لأن الكلام مشتق من "الكلم" وهو الجرح، حيث أن الكلام في مباحث علم الكلام ينتهي بتأثير جرح في النفس  
**التعقيب:** فتح الله عليك - سيدي -، وطيب خاطرک، وأنار بصيرتک.

#### أهداف علم الكلام

1. معرفة ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله.  
**التعقيب:** الحمد لله أنهم لم يقرأوا النفرى، أو لعلهم قرأوه وكفروه
2. تقوية اليقين بالدين الإسلامي عن طريق إثبات العقائد الدينية بالبراهين القطعية وردّ الشبه عنها.  
**التعقيب:** وهل يقوى الإسلام اليقين بالبراهين القطعية، ورد الشبهة بالكلام، أم بالمعايشة والمواجهة، والإدراك، والوعى المعرفى، وما ينفع الناس، ويمكث فى الأرض؟
3. أن يصير الإيمان والتصديق بالأحكام الشرعية متقنا محكما.  
**التعقيب:** ولماذا لا بد أن يكون متقنا محكما طول الوقت، والطريق إلى الله هو الكدح والحيرة الخلاقة والإدراك الجذلى بكل المستويات، من أول المدرك الكلى الداخلى "المكّد" Endocept حتى الإبداع بعد التفكيك مروراً بالمعرفة الهشة؟
4. الرقي بالمسلم من التقليد إلى اليقين.  
**التعقيب:** يا ترى هل يتم ذلك بالتبعية المطلقة لهذه الحجج المنطقية اللفظية الفهمية (الكلامية)؟ وأين الإدراك؟ وأين الوجدان؟ وأين الاستلهام؟

#### تعقيب بعد التعقيبات:

ألا تشم معى عزيزى القارئ رائحة إلغاء كافة العقول الأخرى لصالح ما يلقى فى ظاهر العقل الظاهر للمسلم (والمؤمن) من مسلمات كلامية يدعمها كلام مسلسل، يقينى ثابت، بلا حركة، ولا نقد، ولا مراجعة، ولا كدح؟

ثم ما فائدة تنمية القدرة على الكلام بديلا عن التركيز على المعنى، وليكن الكلام أحد وسائل ذلك

وهل يقوى الإسلام اليقين بالبراهين القطعية، ورد الشبهة بالكلام، أم بالمعايشة والمواجهة، والإدراك، والوعى المعرفى، وما ينفع الناس، ويمكث فى الأرض؟

والطريق إلى الله هو الكدح والحيرة الخلاقة والإدراك الجذلى بكل المستويات، من أول المدرك الكلى الداخلى "المكّد" Endocept حتى الإبداع بعد التفكيك مروراً بالمعرفة الهشة؟

ألا يبرر كل هذا، أن يكون فتح ملف الإدراك بكل هذا الترامى والانتساع هو فرض عين على كل من يريد أن يحمده على نعمة العقول؟ وأن يمارس حياته بنوعية أرقى، تدور حول جوهر التوحيد ورفض الشرك؟

ألا تشم أيضا رائحة مشابهة لما يجري اليوم في عالم السياسة تحت مسمى الديمقراطية المستوردة والنظام العالمي الجديد، والحكومة العالمية القادمة؟

#### مصادر علم الكلام

• يقول علماء الكلام بأن علمهم هذا يستمدونه من الأدلة اليقينية، النقلية والعقلية، أما الأدلة العقلية: فهي استخدام العقل عن طريق النظر في العالم الخارجي، للتعرف على وجود الله وعلى ما يجب له من الصفات وما يستحيل، وما يجوز عليه من الأفعال.

**التعقيب:** وماذا عن بقية العقول التي هي فينا أيضا،

وهي كذلك من خلقة ربنا؟ ثم ماذا يفيد النظر في العالم الخارجي، دون الالتفات للعالم الداخلي، الذي يساهم حتما في معرفة الله سبحانه وتعالى؟ وكلا العالمين الخارجي والداخلي هما من خلق رب العالمين؟

• علماء الكلام يقولون بأن العقل له حدود وجهات لا يمكنه أن يغوص فيها، فجعلوا له حدودا لا يتعداها، وهذا التحديد منهم جار على موازين العقل نفسه.

**التعقيب:** فمن ذا الذي يضع هذه الحدود؟ خلقة ربنا

وكل علوم العقول والمعارف وأولها علم الإدراك؟ أم المختصون في الكلام والإثبات بالمنطق الحسابي أو السببي العاجز

لن أتعرض للمصدر الثاني بزعمهم، وهو الأدلة النقلية، لأن هذا سوف يجرنا إلى إعادة النظر في علم "النقد والتجريح" بمنهج يحترم معطيات العلم الحديث سواء في تحديد قدرة الذاكرة، أم مسويات العقل الناقل، أم تحيز الوجدان شعوريا ولا شعوريا، وكل هذا هو بعض ما ينقد به "علم التاريخ" عموما وليس فقط علم النقد والتجريح، وقد وضع فقهاء قدامى ومحدثون مجتهدون مقاييس علمية موضوعية تحد من الاعتماد على مجرد النقل بما يشل العقول والإبداع جميعا، وأحيانا يبدو وكأنه وصاية على القرآن الكريم نفسه، لن أتطرق لأى من ذلك لأن موضوعنا هو توسيع مساحة المعرفة، واحترام مناهلها، من كل صوب وحذب، وليس نقد مصادر التشريع.

فتح ملف الإدراك بكل هذا الترامى والانتساع هو فرض عين على كل من يريد أن يحمده على نعمة العقول؟ وأن يمارس حياته بنوعية أرقى، تدور حول جوهر التوحيد ورفض الشرك؟

ماذا يفيد النظر في العالم الخارجي، دون الالتفات للعالم الداخلي، الذي يساهم حتما في معرفة الله سبحانه وتعالى؟ وكلا العالمين الخارجي والداخلي هما من خلق رب العالمين؟

ومن أجل خدمة الدين والمساعدة على نشره بشكل واع فلا بد لنا إما أن نلجج علم الكلام، أو أن نخرج عليه تعديلات جوهرية في الشكل والمضمون

### الضربات التي تلقاها علم الكلام

لاقي علم الكلام مواجهة عنيفة من أئمة السلف وعلمائهم ، أدت أحياناً إلى تقوية العلم وزيادة تمسك اتباعه به، لكنه تلقى ضربتين موجعتين جداً كان لهما الأثر البالغ في صرف الناس عنه أو ضعف مواقفه وتأتي أهمية هاتين الضربتين من كونها أُنزرتا في أصل هذا العلم والأساس الذي يقوم عليه وهو المنطق والعقل بمفهوم هذا العلم، وخاصة أنها جاءت من أئمة وفقهاء تقليديون لا يمكن أن يتهموا بالابتداع، ناهيك عن الإبداع.

**الضربة الأولى:** كانت على يد شيخ الإسلام ابن تيمية ...الذي يرى أن العقل هو الغريزة أو العلوم المستفادة للتمييز بين الخير والشر، وقد أخذ عليهم ابن تيمية اعتبار القواطع العقلية في زعمهم هي الأساس ،

أما **الضربة الثانية:** فكانت على يد الشيخ تقي الدين النبهاني من المعاصرين، والذي اعتبر أفكار علم الكلام بأنها غير عقلية مطلقاً لان العقل لا يمكن أن يعمل في المغيبات، هذا بالإضافة إلى موافقته ابن تيمية اعتبار المنطق أسلوباً عقلياً غير منتج أبداً ويجب تركه، وهذه الضربة كسابقتها هي في صميم علم الكلام لأنها نسفت الأصل العقلي الذي يقيمون عليه أفكارهم

**التعقيب:** وبالرغم من هذا النقد الباكر، فإن كثيرا من الناقدين كانوا أكثر يقينيه وجمودا ممن ينقدون.

### وبعد

هل نحن في حاجة إلى علم الكلام أم إلى نقضه تماما واللجوء إلى عكسه (علم الإدراك)؟

### مقتطف (1)

"...تكتشفت في عصرنا الحاضر الكثير من الحقائق العلمية ، وظهرت معارف جديدة متنوعة ، مما جعل الحاجة ماسة إلى مواجهة هذا الكم الهائل من المعلومات والنظريات بطريقة تخدم الدين بشكل فعال ومنتج . ولا بد من الاعتراف بان هذا لا سبيل إليه إلا بالتفكير الصحيح المنتج ، ولا يكون أبداً عن طريق المنطق ولا أساليب علم الكلام ، لأنه لا قبل لها بهذا الكم المتزايد من المعلومات .ومن اجل خدمة الدين والمساعدة على نشره بشكل واع فلا بد لنا إما أن نلغي علم الكلام ، أو أن نجري عليه تعديلات جوهرية في الشكل والمضمون .

### مقتطف (2)

"..... فالمنطق نظام مغلق غير منتج ، والإبقاء عليه يعني الإبقاء على علم العقائد نظاماً مغلقاً إلى ابد الأبد . كما أن المنطق عالمة على الفكر الصحيح، وقد

ضرورة التركيز  
على القرآن  
الكريم والسنة  
المطهرة بما فيهما  
من مظاهر الإعجاز  
الفكري والعلمي.

الإعجاز الفكري  
هو أقرب إلى  
حضارة الأمة  
وفكرها من الإعجاز  
العلمي الذي  
يُعتبر عالمة علم ما  
ينتجه الغرب فقط"

رفضه أحفاد اليونان الغربيين أنفسهم؛ فمنهم من اعتبره وُلد ميتاً، ومنهم من اعتبره ولد كاملاً ولم يتقدم خطوة إلى الإمام، ومنهم من اعتبره من موضوعات البلاغة، بل قد عده بعضهم صنماً يحرف عن التفكير الصحيح".

### مقتطف (3)

"..... إعادة النظر في مفهوم العقل، لا سيما على ضوء ما استجد من حقائق علمية عن التفكير وتركيبية الدماغ".

"..... وهذا يقودنا إلى ضرورة التركيز على القرآن الكريم والسنة المطهرة بما فيهما من مظاهر الإعجاز الفكري والعلمي . غير أن الإعجاز الفكري هو أقرب إلى حضارة الأمة وفكرها من الإعجاز العلمي الذي يُعتبر عالية على ما ينتجه الغرب فقط".

### مقتطف (4) (المطلوب)

"....عدم تقييد الناس بالإيمان عن طريق العقل، فواقع العقائد الإسلامية أنه يمكن تقبلها وعشقها بمجرد معرفتها والتعايش معها . فلبتقتها من شاء بالطريقة التي يشاء ، سواء كانت بالعقل أو بغيره".

### الخلاصة (مرحليا) (مرة أخرى)

**أولا:** لننتذكر أننا لسنا في مبحث ديني أو لاهوتي بحث، بل في مبحث معرفي، تطبيقي أساسا.

**ثانيا:** بالرغم من أن هدفنا ليس هو إثبات وجود الله من عدمه، ولا هو تحديد الطريق للوصول إلى معرفته، إلا أن هذه الحقيقة فرضت نفسها فرضا من واقع العلاج، وبالتالي وجب البحث عن أقرب منهج نتعرف بها عليها، وعن أى الوظائف المعرفية وغير المعرفية يمكن أن تساعدنا في ذلك : فكان "علم الإدراك" أهمها، كما ذكرنا في المقدمة **ثالثا:** إن هذه المعرفة ليست نافية لأى من المعارف والمعلومات الجزئية الأخرى المساعدة في العلاج، ولكن يمكن القول أن أية وسيلة من الوسائل المساعدة من علاجات سواء كانت فارماكولوجية، أو سلوكية، أو تحليلية ، تأخذ شكلا آخر، وتحتاج لتناول آخر إذا أضيفت إليها هذه الحقيقة المعرفية التي نحاول التوصل إليها من خلال هذه الدراسة (الدراسات) المتعاقبة عن الإدراك خاصة.

**رابعا:** إن كل ذلك متعلق أشد التعلق - كما قلنا دائما ثم حددنا في البداية اليوم - بتقافتنا

الخاصة التي نأمل أن تثرى ثقافات أخرى، بقدر ما تثرى منها.

أن أية وسيلة من الوسائل المساعدة من علاجات سواء كانت فارماكولوجية، أو سلوكية، أو تحليلية ، تأخذ شكلا آخر، وتحتاج لتناول آخر إذا أضيفت إليها هذه الحقيقة المعرفية التي نحاول التوصل إليها من خلال هذه الدراسة (الدراسات) المتعاقبة عن الإدراك خاصة